حكايات قبل النوم
(٦)

إِذَنْ: لَنْ يُضَيِّعَنَا اللّه!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حكاية المحاميد!!

قال أبو العباس البكري ، من وَلَدِ أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه :

جَمَعَتِ الرّحلةُ بين (محمدِ بن جريرٍ الطَبريِّ ، ومحمدِ بنِ إسحاقَ بن خُزيمةَ ، ومحمدِ بن نَصْر المروَزِيِّ ، ومحمدِ بن هارون الرّويانيِّ) بمصر .

... فَنَفِدَ زادُهم ، ولم يَبْقَ عندهم ما يَقُوتهم ، وأضرَّ بهم الجوعُ ، فاجتمعوا ليلةً في منزلٍ كانوا يأُوون إليه .

وتشاوروا فيما بينهم ، وكان الرأيُ أن

يضربوا القُرعَةَ ، فمن خرجتْ عليه القرعةُ سألَ لأصحابه الطعامَ .

فخرجت القرعةُ علىٰ (ابنِ خزيمة) ، فقال لأصحابِه : أمهلوني حتىٰ أتوضأ وأصلّي صلاةَ الاستخارة .

فاندفعَ في الصلاة ، فإذا هم بالشُّموع ، وغلامٌ من قبل والي مصر يدُقُّ البابَ ، ففتحوا البابَ ، فنزل عن دابّتِهِ .

ثم قال : أيُّكم محمد بن جريرٍ الطبريّ؟

فقالوا : هو ذا ، فأخرج صُرَّةً فيها خمسون ديناراً ، فدفَعَها إليه .

ثم قال : أيُّكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟

فقالوا : هو ذا يصلّي ، فلما فَرَغَ من صَلاتِه دفع إليه الصُّرَّة وفيها خمسون ديناراً ، ثم قال :

أيّكم محمد بن هارون... وأيّكم محمد بن نصر؟

ففعل بهما كذلك...

ثم قال: إن الأميرَ كان نائماً في وقتِ القيلولةِ ـ منتصفَ النهار ـ، فرأىٰ في المنامِ مَنْ يقول له: إن المحامِدَ ـ جمع محمد ـ طوَوْا كَشْحَهُمْ ـ أي ناموا وهم جِياعٌ ـ جياعاً، فانفَذَ إليكم هذه الصِّرارَ، وأقْسمَ عليكم: إذا نَفِدَتْ فابعثوا إليَّ أحدَكم!!

* * *

حكاية ماء زمزم

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :

جاء إبراهيمُ عليه السلام بأمِّ إسماعيل ، وبابنِها إسماعيلَ وهي تُرضِعُه ، حتىٰ وضعها عند البيت عند دَوْحَةٍ ، فوق زمزم في أعلىٰ المسجدِ ، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ ، وليس بها ماءٌ ، فوضعَهُما هناك ، ووضع عندهما جِراباً ـ أي كيْساً ـ فيه تَمْرٌ ، وسِقاءً فيه ماء ، ثم قَفّىٰ إبراهيمُ منطلقاً ، فتبعتْهُ أمُّ إسماعيل ، فقالتْ : يا إبراهيمُ! أين تَذْهَبُ ، وتتركَنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيءٌ؟... آللهُ ، أمركَ بهذا؟

قال : نعم .

قالتْ : إذنْ لا يضيِّعنا اللهُ ، ثم رَجَعَتْ..

ولما وصلَ إبراهيمُ إلىٰ حدودِ البيتِ الحرامِ ، توجَّه نحوَ البيتِ وقال : ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1] .

وجعلتْ أمُّ إسماعيل تُرضِعُ إسماعيلَ ، وتَشربُ من ذلك الماءِ ، حتىٰ إذا نَفِدَ ما في السِّقاءِ ـ الإناءِ ـ عَطِشَتْ وعطشَ ابنُها ، وجعلتْ تَنظرُ إليه يَتَلَوَّىٰ ، فانطلقتْ كراهيةَ أن تَنظرَ إليه ، فوجدتِ (الصفا) أقربَ جبلٍ في الأرضِ

---

(١) سورة إبراهيم : /٣٧/ .

يَليها ، فقامتْ عليه ، ثم استقبلتِ الواديَ تَنظرُ : هل ترىٰ أحداً؟ فلم تَرَ أحداً ، فَهَبَطَتْ من الصَّفا ، حتىٰ إذا بلغتِ الواديَ رفعتْ طَرَفَ ذِراعِها ، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنسانِ المجهودِ ، حتىٰ جاوزتِ الوادي ، ثم أتتِ المَرْوَةَ فقامتْ عليه ، فنظرتْ هل ترىٰ أحداً ، فلم تَرَ أحداً ، ففعلتْ ذلك سَبْعَ مراتٍ..!

قال ابن عباس : قال النبي ﷺ :

« فلذلك سَعَىٰ الناسُ بينَهما ، فلما أشرفَتْ علىٰ المروةِ سمعتْ صوتاً ، فقالت : صَهْ[1] ـ تُريدُ نفسَها ـ ثم تَسَمَّعَتْ فسمعتْ أيضاً .

فقالت : قد أَسْمَعْتَ إنْ كان عندكَ غوثٌ[2] ،

---

(١) أي : اسكتي .

(٢) أي : أغثني إن كان عندك غيث ـ ماء ـ .

فإذا هي بالملَكِ عند موضعِ زمزم، فبحث بجناحِه حتىٰ ظهرَ الماءُ، فجعلت تُحوِّضُهُ[1] وتقولُ بيدِها هكذا، وجعلتْ تغرِفُ الماءَ في سِقائِها، وهو يفورُ بقدرِ ما تَغْرف ».

قال ابنُ عباسٍ: قال النبي ﷺ:

« رَحِمَ اللهُ أمَّ إسماعيل، لو تركَتْ زَمْزَمَ، لكانتْ زمزمُ عَيْناً مَعِيناً ».

قال: فشربَتْ وأرضعتْ ولدَها، فقال لها الملَكُ: لا تخافوا الضَّيْعَةَ، فإنّ هاهنا بيتاً لله يَبنيهِ هذا الغُلامُ وأبوه، وإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أهلَه...

وكان البيتُ مرتفعاً من الأرضِ كالرّابيةِ، تأتيه السُّيول، فتأخذُ عن يمينِه وعن شِمالِه،

---

(١) أي: تجعله مثل الحوض.

فكانت كذلك حتىٰ مَرَّتْ بهم رِفقةٌ من (جُرْهُم)[1] ، فنزلوا في أسفلِ مكةَ ، فرأَوا طائراً يذهبُ ويعود .

فقالوا : إنّ هذا الطائرَ لَيدورُ علىٰ ماءٍ ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي ، وما فيهِ ماء ، فأرسلوا غُلاماً لهم ، فإذا هو بالماء ، فَرَجَعَ فأخبرَهم .

فأقْبلوا وأمُّ إسماعيل عندَ الماءِ ، فقالوا : أتأذَنينَ لنا أن نَنْزِلَ عندَك؟

قالتْ : نعم ، ولكنْ لا حقَّ لكم في الماء..

قال ابنُ عباسٍ : قال النبيُّ ﷺ :

« فألْفىٰ ذلك أمَّ إسماعيل ، وهي تُحبّ الأُنسَ ، فنزلوا فأرسلوا إلىٰ أهلِهِمْ ، فنزلوا معهم ، حتىٰ إذا كانوا بها أهلَ أبياتٍ ، وشَبَّ

---

(١) جُرهم : قبيلة عربية .

الغلامُ ، وتعلَّم العربيةَ منهم ، وأنفَسَهُم ـ أي تَفَوَّقَ عليهم ـ ، وأَعْجَبَهم حين شَبّ ـ أصبح شاباً ـ فلما أدركَ ـ أي بَلَغَ ـ زَوَّجوه امرأةً منهم .

... وماتَتْ أمُّ إسماعيلَ ، فجاء إبراهيمُ بعد ما تزوَّجَ إسماعيلُ يُطالِعُ تركتَهُ فلم يَجِدْ إسماعيلَ ، فسأل امرأتَه عنه ، فقالتْ : خَرَجَ يبتغي لنا ، ثم سألَها عن عيشِهِمْ وهَيئَتِهِمْ ، فقالتْ : نحن بِشَرٍّ ، نحن في ضِيقٍ وشِدَّةٍ ، وشكتْ إليه .

قال : فإذا جاء زوجُكِ ، اقرئي عليه السلامَ ، وقولي له : يُغيِّرُ عتبةَ بابِه!

فلما جاء إسماعيلُ سألَها : هل جاءَكم مِن أحدٍ؟

قالت : نعم ، جاءَنا شيخٌ كذا وكذا ، فسَأَلَنا

عنكَ ، فأخبرتُهُ ، فسألني كيف عيشُنا؟ فأخبرتُهُ أنّا في جَهْدٍ وشدَّة .

قال : فهلْ أوصاكِ بشيء؟

قال : نعم ، أمرني أن أَقْرأ عليكَ السّلامَ ، ويقول : غيِّرْ عتبَةَ بابِكَ .

قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أُفارِقَكِ ، اِلْحَقي بأهلِكِ ، فطلَّقَها...

وتزوَّج منهم أخرىٰ ، فلَبِثَ عنهم إبراهيمُ ما شاءَ اللهُ ، ثم أتاهم بَعْدُ ، فلم يَجِدْه ، فدخَلَ علىٰ امرأتِهِ فسألَ عنه .

قالت : خَرَجَ يَبْتغي لنا ، قال : كيفَ أنتم؟ وسألَها عن عيشِهِم وهيئتِهِم...

فقالت : نحنُ بخيرٍ وسعةٍ ، وأثنتْ علىٰ اللهِ سبحانه .

فقال : ما طعامُكم؟

قالت : اللّحمُ .

قال : فما شرابُكم؟

قالت : الماءُ .

قال : اللهمَّ بارِكْ لهمْ في اللحمِ والماءِ..

فقال أبو القاسم ﷺ : « بَرَكَةُ دَعوةِ إبراهيم » .

... قال : فإذا جاءَ زوجُكِ فاقرئي عليه السلامَ ، ومُرِيْهِ يُثْبِتْ عتبةَ بابِه..

فلما جاء إسماعيل ، قال : هَلْ أتاكم مِنْ أحدٍ؟ قالت : نَعَمْ ، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهيئةِ ، وأثنتْ عليه ، فسألني عنكَ ، فاخبرتُه ، فسألني : كيفَ عيشُنا؟ فاخبرتُه أنَّا بخيرٍ .

قال : فاوصاكِ بشيء؟

قالت : نعم ، يَقْرَأ عليكَ السلامَ ، ويأمرُكَ أن تُثْبِتَ عَتَبَةَ بابِكَ .

قال : ذاكَ أبي ، وأنتِ العَتَبةُ ، أمرني أن أُمْسِكَكِ...

ثم لَبِثَ عنهم ما شاءَ اللهُ ، ثم جاءَ بعدَ ذلكَ ، وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً[1] له تحت دَوحةٍ ، قريباً من زمزم ، فلما رآه قامَ إليه ، فصنعَ كما يَصنَعُ الوالدُ بالولدِ ، والولدُ بالوالدِ...

قال : إنّ اللهَ أمرني بأمرٍ؟

قال : فاصنعْ ما أمرَكَ ربُّكَ ، قال : وتُعِينُني؟

قال : نعم .

قال إبراهيمُ عليه السلامُ : فإنّ الله أمرني أن

---

(١) أي يجهّز النبال ويصلحها .

أَبْنيَ بَيتاً هاهُنا ، وأشار إلىٰ أَكَمَةٍ ـ تلٍّ ـ مرتفعةٍ علىٰ ما حولَها .

فعند ذلك رَفَعَ القواعدَ من البيتِ ، فجعلَ إسماعيلُ يأتي بالحِجارةِ ، وإبراهيمُ يبني ، حتىٰ إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحجرِ ـ أي الحجرِ الأسودِ ـ ، فقام عليه وهو يَبْني ، وإسماعيلُ يناولُه الحجارةَ ، وهما يقولان : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1] .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة البقرة : /١٢٧/ .